

مئة عام من العزلة



جابريل غارسيا ماركيز

الناشر: مكتبة الإسكندرية

مئة عام من العزلة



جابريل غارسيا ماركيز

الناشر: دار النشر مكتبة الإسكندرية



مئة عام من العزلة
رواية
جابريل جارسيا ماركيز

الفصل الأول

كان على الكونونيل (أوروليانو بوينديا) أن يتذكر بعد سنين وهو يواجه فريق الرماة بالرصاص، عصر ذلك اليوم البعيد عندما صاحبه أبوه لاكتشاف الثلج... في ذلك العهد كانت (ماكوندو) قرية مؤلفة من عشرين بيتا من الطوب النقي، بُنيت على ضفة نهر صافي المياه تبدو في قاعه أحجار مصقولة أشبه في بياضها وضخامتها ببيض الحيوانات ما قبل التاريخ... وكانت الدنيا غضة إلى حد أن كثيرا من الأشياء كانت تنقصها المسميات، فيُستعان على وصفها بالإشارة... وفي كل عام كانت تغد على القرية في شهر مارس أسرة من (العجر) المهلهلين تنصب خيامها خارج القرية، وبين لعدة المزامير ودق الطبول المدوية تأخذ في عرض العديد من المخترعات... وكان أول ما جاءوا به هو المغناطيس... ووقتها قام عجري منهم متين البنيان منفوش اللحية قدم نفسه باسم (مالكويداس) بعرض جريء سماه العجيبة الثامنة لعلماء الكيمياء المتتورين في مقدونيا... ومن بيت إلى بيت راح يجر كتلتين معدنيتين فيثير ذهول الناس إذ يبصرون أو انهمهم المعدنية وهي تتهاوى من مواضعها، وإذا يسمعون الألواح الخشبية وهي تصر صريرا بتأثير حركة المسامير وهي تكاد تنتزع من أماكنها، بل وإذا يرون كثيرا من الأشياء التي كانت مفقودة بعد طول بحث وتفتيش تظهر من مخابنها وتسحب سحباً في إثر كتلتَي مالكويداس السحريتين... وفي ذلك كان مالكويداس يقول للناس المذهولين بصوته الأجلش: «لكل شيء من الأشياء حياته الخاصة، والمسألة ببساطة هي بعث اليقظة في أرواحها»... وعندئذ ذكر (جوزيه أركاديو بوينديا) الواسع الخيال في أنه من الممكن الانتفاع من هذا الاختراع العديم الجدوى في استخراج الذهب من باطن الأرض... ولكن مالكويداس الذي كان رجلاً قوياً قال له: «إن الاختراع لا يتماشى مع هذا»... بيد أن جوزيه لم يكن يؤمن في ذلك الحين باستقامة (العجر)، وهكذا قايض على كتلتَي المغناطيس ببغلته وعزتيه ولم تستطع زوجته (أورسولا أجواران) التي كانت تعتمد على هذه الحيوانات في زيادة دخلهم المتواضع أن تثنيه عن عزمه، إذ قال لها: «عما قريب سيكون عندنا من الذهب ما يكفي لتبليط أرضية البيت».. وقد ظل شهوراً كثيرة يعمل دانيا لإثبات صحة فكرته، فراح يستكشف كل شبر في المنطقة حتى قاع النهر، ساحبا كتلتَي المغناطيس ومرددا تعاويذ مالكويداس بصوت مسموع... وكان الشيء الوحيد الذي أفلح فيه هو استخراج جسم مدرع منذ القرن الخامس عشر تصلبت أجزاؤه بفعل الصدأ... وعندما تمكن جوزيه وأفراد بعثته الأربعة من تفكيك الجسم لم يجدوا بداخله سوى هيكل عظمي متكلس تدلت حول عنقه أيقونة نحاسية بها شعر امرأة!...

وفي مارس من كل عام كان (العجر) يعودون إلى القرية وفي جعبتهم اختراع جديد، جاءوا مرة بتلسكوب وعدسة مكبرة بحجم طبلية، فجعلوا امرأة منهم في عند طرف القرية ووضعوا التلسكوب في مدخل خيمة وبثمن قدره 5 سنتات بالعملة المحلية كان بمقدور من يدفع أن يرى من التلسكوب فيبصر المرأة (العجرية) على بُعد ذراع منه لا أكثر... وكان مالكويداس يقول في هذا: «إن العلم قد ألغى المسافات... وبعد زمن قصير سيكون بقدرة الإنسان أن يرى ما يحدث في أي مكان في العالم دون أن يغادر بيته»!..

وفي عرض مثير آخر وقت الظهيرة سلطوا العدسة المكبرة الضخمة على كوم قش في وسط الشارع فاشتعلت نار حامية أتت عليه عن آخره...

وسرعان ما أوحى ذلك بفكرة جريئة إلى (جوزيه أركاديو بوينديا) تعزیه عن الفشل في استغلال المغناطيس لاستخراج الذهب وهي استخدام هذا الاختراع كسلاح حربي... وهكذا قايض مالكويداس على اقتناء العدسة مقابل كتلتی المغناطيس وثلاثة قطع من العملة الذهبية مما ورثته زوجته عن أبيها، وكانت تخفيه في الأرض تحت الفراش انتظارا لاستغلال القطع كلها استغلالا نافعا في المستقبل غير عابئ ببكائها وحزنها... وإثباتا لآثار العدسة المحرقة على جنود العدو فقد عرّض جسده لأشعة الشمس المركزة من خلال العدسة الضخمة وكانت النتيجة إصابته بحروق خطيرة كادت تؤدی بحياته واستغرق وقتا طويلا للشفاء منها بل تعرض البيت كله للحريق!.. ومع ذلك سرعان ما نشط جوزيه لإعداد تقرير مفصل عن اختراعه الخطير الذي سماه (الحرب الشمسية) وبعث به مع رسول خاص إلى الحكومة مبديا تمام استعدادده للسفر وشرح كافة التفاصيل وتدريب الجنود على استخدام السلاح الفتاك متى ما جاءت الموافقة... ولكن الرسول كاد يهلك في الطريق إلى العاصمة بين الجبال والمستنقعات والقفار... وظل جوزيه ينتظر سنوات عديدة حتى یأس من وصول الرد... ولما عاد مالكويداس في رحلة (العجر) السنوية واستمع إلى شكوى جوزيه المحزونة بسبب فشل مشروعه الحربي طیب خاطره ورد إليه القطع الذهبية مقابل استعادة العدسة المكبرة، ثم أتحفه هذه المرة - تدليلا على إخلاصه ومودته - بخرائط جغرافية وأدوات ملاحية وفلكية أفرد لها جوزيه غرفة صغيرة خلف البيت وعكف على إجراء تجاربه العلمية، مهملًا شؤون أسرته، تاركًا زوجته وولديه يقصمون ظهورهم في فلاحه الأرض لاستنبات ما يأكلون... وكم رَوَّع أفراد الأسرة كلها ذات يوم من شهر ديسمبر عندما جمعهم وقال لهم برصانة وجدًّا بالغين: «لقد اكتشفت من أبحاثي العلمية والفلكية أن الأرض مستديرة مثل برتقالة..».

فعندئذٍ لم تتمالك زوجته أرسولا أن صرخت به: «إذا كان لابد أن تُجنَّ فلتجن وحدك!... لكن لا تحاول أن تبث ترهات (العجر) في عقول أطفالك!»...

بيد أن جوزيه لم يتأثر بما أبدته زوجته من جزع ويأس، فقد جمع رجال القرية وشرح لهم نظريته بأن الإنسان يستطيع أن يعود إلى المكان الذي يبدأ منه رحلته إذا واصل الإبحار شرقا... ولكنه زادهم اقتناعا بأنه فقد عقله، وظل الحال كذلك إلى أن عاد مالكويداس وأثنى بينهم علنًا على ذكاء رجل منهم استطاع باستدلالاته المحضة إثبات النظرية التي تم إثباتها فعلا وعملا في العالم الخارجي وإن لم تكن معروفة من قبل في القرية، وتأكيذا لفرط إعجابه بهذا الرجل القدير فقد أهداه شيئا كان مقدرا أن يكون له تأثير عميق على مستقبل ماكوندو، ألا وهو (معمل كيميائي)...

كان المعمل البدائي يشتمل على مجموعة كاملة من الأنابيب والقناني والأواني الزجاجية العجيبة إلى جانب مختلف الأحماض والمساحيق والمعادن التي قيل بينها المعادن السبعة الرامزة إلى الكوكب السبعة... ولما كان جوزيه قد استهوته سهولة الوصفات التي اطلع عليها لمضاعفة أي كمية من الذهب فقد راح يتودد إلى أرسولا مدى أسابيع لكي تسمح بإخراج جنيهااتها الذهبية المدفونة تحت السرير حتى يعمل على مضاعفتها لها أضعاف كثيرة... وفي النهاية لم تستطع أرسولا سوى النزول عند رغبة زوجها إزاء إلحاحه وإصراره... وعندئذٍ ألقى جوزيه الجنيهاات في إناء وخلط بها مقادير من النحاس والكبريت وكبريتور الزرنيخ والرصاص، ثم جعلها تغلي في وعاء فيه زيت الخروع حتى استحالت إلى سائل كثيف بدا في شكله أقرب إلى (الكراملة) العادية

منه إلى الذهب الثمين... وبعد عمليات خطرة للتقطير ثم الخلط بالمعادن الكوكبية السبعة والزئبق ثم التبريد في النهاية، إذ بميراث أورسولا المسكينة يتحول إلى كتلة محترقة التصقت في قاع الإناء التصاقاً لا فكاك منه!...

كانت هذه التجربة المريرة باعثة على حزن جوزيه حتى نفخ يديه بين عشية وضحاها من القيام بمزيد من التجارب في عالم الكيمياء... وانصرف عن كل شيء حتى الأكل، وراح يدور في أرجاء البيت مغموماً، ولكنه كان يقول لزوجته أورسولا: «هناك أشياء لا تصدق تحدث في الدنيا... فيما وراء النهر الذي يحد قريتنا، هناك كل الأدوات السحرية العجيبة ونحن نعيش هنا كالحمير»!...

والحق أن (جوزيه أركاديو بوينديا) كان طوال شبابه مجداً مكافحاً متفانياً في رعاية أسرته ومتعاوناً مع جيرانه في العمل على رفاهية القرية، وإليه يرجع الفضل في تخطيط ماكوندو على نظام منسق بديع حيث أضحت بسكانها الثلاثمئة أفضل من كل قرية أخرى معروفة في ذلك العهد، لا يزيد عمر كل من أبنائها عن الثلاثين ولم تحدث فيها وفاة واحدة...

بيد أن هذه الروح الاجتماعية الوثابة ما لبثت أن اختفت بعد ظهور حُمى المغناطيسات، والأدوات والحسابات الفلكية، وأحلام تحويل المعادن إلى ذهب، ومضاعفة مقاديره، وشهوة اكتشاف عجائب العالم... وهكذا استحال جوزيه من إنسان نظيف نشط إلى شخص كسول في مظهره مهمل في ملابسه أشعث اللحية حتى اضطرت أورسولا إلى تعليمها له بعد جهد كبير مستعينة بسكين المطبخ... وكثيرون هم الذين اعتقدوا أنه أصبح ضحية لون من السحر الغامض الخفي...

وفي هذا قالت له أورسولا ذات يوم:

— بدلاً من أن تنهك هكذا في اختراعاتك الجنونية ومشروعاتك المتهوسة، يجب أن تشغل بتربية أولادك... انظر إلى الحالة التي وصلوا إليها، وهم يجرون في كل مكان شاربدين مثل الحمير!...

وفعلاً نظر جوزيه من النافذة فشاهد ولديه يلعبان في الحديقة حافيين، وبدا له أنه لم يشعر بوجودهما إلا في هذه اللحظة... وظل يتأملهما حتى ندت عينيه بالدموع، وما لبث أن جفهما بظهر يده، وقال وهو يتنهد ممتثلاً:

— لا بأس... قولي للولدين أن يأتيا لمساعدتي في جمع أدواتي...

كان (جوزيه أركاديو) الابن الأكبر في الرابعة عشرة... وكان مربع الرأس، كثيف الشعر، يماثل أباه في متانة البنية، ولكن يقصر عنه في التفكير وقوة التخيل... وكان مولده أثناء رحلة الأسرة بين الجبال قبل تأسيس قرية ماكوندو، وقد حمد أبواه ربهما إذ لم يولد بملاح حيوانية... وكان (أوروليانو) أول مخلوق بشري وُلد في ماكوندو يناهز السادسة من عمره وكان أميل للصمت والعزلة والانطواء... لقد سمع بكاؤه وهو لا يزال في رحم أمه وُلد وهو مفتوح العينين... وعندما قطعوا الحبل السري جعل يدير رأسه من جانب لجانب متطلعا إلى ما في الغرفة من أشياء ومتفحصاً لوجوه من حوله في فضول لا يخالطه أي خوف... وبعدها لم يعبأ بالنظر لمن اقتربوا منه للنظر إليه، وركز نظراته في السقف المصنوع من النخيل والذي بدا كأنما يوشك أن يخر تحت وطأة المطر الدافق المنهمر...

ومنذ تلك اللحظة التي استرعت فيها أورسولا نظر الأب إلى ولديه، عكف جوزيه على تعليمهما القراءة والكتابة ومبادئ الحساب، ولم يفتَ أن يحدثهما عما في العالم الخارجي من عجائب مضيّفا إليها حصيلته الذاتية من التخيلات والأحلام بل والتخرصات والأوهام...

وواقع أن هذه الهلوسة ظلت محفورة في ذاكرة الصبيين إلى حد بعيد حتى أن (الكونونيل أوروليانو) لم ينس بعد طول السنين (وهو واقف أمام فريق الرّماة ينتظر إشارة الضابط لإطلاق النار) مشهد أبيه عصر ذلك اليوم الحار من شهر مارس، إذ قطع درس الفيزياء الذي كان يلقيه لولديه، ووقف مبهورا رافع اليد جامد العينين، مرهفا سمعه إلى الأصوات البعيدة المتدانية الصادرة عن زمر وطبول (العجر) القادمين إلى القرية مرة أخرى ليتحفوا أهلها بمزيد من أعاجيب العالم الخارجي...

كانوا في الحق طرازا جديدا من (العجر) شبانا ونساء لا يتكلمون سوى لغاتهم، لهم بشرّة زيتية وأيدي بارعة بثت موسيقاهم ورقصاتهم البهجة والروع في الشوارع ومعهم ببغاوات من كل الألوان ترطن الإيطالية ودجاجة تضع مائة بيضة ذهبية على دق الدفوف وقرند مدرب يقرأ الطالع وجهاز متعدد الفوائد التي تشمل الشفاء من الحُمّيات ومساعدة الإنسان على نسيان ذكرياته الأليمة وعَشَرَات أخرى من (المخترعات) المبتكرة الفريدة، حتى أن (جوزيه أركاديو بوينديا) ود لو استطاع أن يخترع هو نفسه جهازا للذاكرة يُمكنه من استيعاب كل هذه العجائب واختزانها جميعا في وعيه!...

في لحظة واحدة سحر (العجر) القرية كلها... وألفى سُكّان ماكوندو أنفسهم تائهين في شوارع قريتهم مذهولين من فرط ما يروا من الأعاجيب...

وراح (جوزيه أركاديو بوينديا) وهو ممسك بولديه حتى لا يضيعا في غمار الزحام يشق طريقه بين بهلوانات ذوي أسنان مذهبّة وحُواة ذوي ستة أذرع وروائح خانقة من السباح والأتربة، باحثا عن مالكويداس لكي يكشف له عن مزيد من الأسرار... وفي هذا سأل عديد (العجر) الذين لم يفهموا لغته إلى أن وصل في النهاية إلى الموضع الذي اعتاد مالكويداس أن ينصب فيه خيمته... فوجد أرمنياً كان يعلن بالأسبانية عن شراب يجعل الإنسان مخفيا عن العيان... فقد شرب كأسا من مادة عنبرية بجرعة واحدة عندما اقترب منه جوزيه ولديه بين الجمع المنبهر لمشاهدة هذه الخوارق، واستطاع جوزيه أن يتجه إليه بسؤاله... وإذا (العجري) يرميه بنظرة شاملة مخيفة قبلما يتحول إلى بركة دخانية خانقة تردد من فوقها صوته وهو يقول: «إن مالكويداس قد مات»...

لقد حزن جوزيه لهذا النبأ الأليم وجمد في مكانه برهة إلى أن تفرق الجمع منجذبين إلى فنون الألعاب السحرية الأخرى، بينما تبخرت في خلال ذلك بركة الأرمني الدخانية... وتحت إصرار ولديه لرؤية أعجوبة الأعاجيب المعلن عنها انتقل معهما إلى خيمة أخرى، دخلوا إليها بعد دفع ثلاثين سنّتا فشاهدوا ماردا أشعر الجسد حليق الرأس تتدلى من أنفه حلقة نحاسية وتلتف حول كاحله سلسلة حديدية ثقيلة وأمامه صندوق قرصاني كبير... وعندما فتح المارد الصندوق انبعثت منه رائحة ثلجية ولم يكن بداخله سوى كتلة شفافة ضخمة بداخلها إبر لا عداد لها وقد تكسر عليها ضوء الغروب بنجوم ملونة... واجتزأ جوزيه أن يغمم لولديه بتفسير لا بد منه:

– هي أكبر ماسة في الدنيا.

ولكن المارد رد عليه مناقضا:

– لا.. إنها ثَلَج...

لم يفهم جوزيه ومد يده باتجاه الكتلة الكعكية. بيد أن المارد ردها قائلا:

– خمسة سنتات أخرى نظير اللمس...

فدفع جوزيه ووضع يده على كتلة الثلج وأبقاها بضع دقائق وقد امتلأ قلبه بالخوف والبهجة معا لللمس هذا الجسم الخفي، وما لبث أن دفع عشر سنتات أخرى تمكينا لولديه من ملامسة هذه الخارقة دون أن يُحير قولاً... فأما (جوزيه أركاديو) الابن الأكبر فقد رفض اللمس... وأما (أوروليانو) فقد تقدم خطوة ووضع يده عليها ثم سحبها في الحال هاتفا:

«إنها تغلي!»... ولكن جوزيه الأب الذي أسكرته هذه المعجزة قد نسي مشروعاته المحمومة وحزنه لفقد مالكويداس معلمه ومُشيره الحكيم ودفع خمسة سنتات أخرى ووضع يده من جديد على الكتلة المتألئة بخشوع وقداسة وهتف قائلا:

هذا أعظم اختراع في زماننا!...

الفصل الثاني

كان سر اهتمام (جوزيه أركاديو بوينديا) هو حلم تراءى له ذات ليلة وهو في الطريق إلى ماكوندو لأول مرة، عن مدينة جدرانها من المرايا... ولم يستطع أن يفسر هذا الحلم إلا يوم اكتشف الثلج عند (العجر)... وقد بدا له أنه سوف يستطيع في المستقبل القريب صنع قطع هائلة من الثلج على نطاق واسع من مادة عادية كالماء، ومن الكتل تبني بيوت جديدة للقرية، وهكذا لا تبقى ماكوندو مكانا يتلظى بالحرارة. بل تتحول إلى مدينة تحتل الحياة فيها... وإذا كان لم يثابر في محاولاته لإقامة مصنع ثلج فذلك لأنه كان في ذلك الحين منهمكا أشد الاهتمام في تعليم ولديه خصوصا أوروليانو الذي تعلق تعلقا شديدا بالكيمياء... وقد عكف الاثنان فعلا على محاولة فصل بقايا ثروة أورسولا الذهبية الملتصقة بقاع الإناء واستخلاص ما يمكن استخلاصه منها... أما (جوزيه أركاديو) الابن الأكبر فقد عزف عن المشاركة في هذه المحاولة. والواقع أن هذا الابن كان ذا إرادة وعزم، وقد نما جسمه بصورة مفرطة، حتى إذا بلغ سن المراهقة كان أقرب إلى صورة ماردر... وفي تلك الأيام ترددت على البيت امرأة عُرفت بالمرح والإثارة وطلاقة اللسان للمساعدة في أعمال المنزل، وكانت تعرف قراءة الطالع بأوراق اللعب... وقد حدثتها أورسولا عن ولدها وعن خشيتها من حجمه المجاوز لسنه، فأطلقت المرأة ضحكة رنانة وقالت لها: «بل بالعكس، إنه سيكون سعيد الطالع»... ولكي تثبت المرأة نبوءتها جاءت إلى البيت بعد أيام قلائل ومعها أوراق كشف الطالع وأغلقت على نفسها مع الفتى باب الغرفة الخفية... فكانت هذه الخلوة إيذانا بانقلاب خطير في أطواره وإذكاء لمشاعره العاطفية...

كانت هذه المرأة تُدعى (بيلاير تيرنيرا) وكانت من أفراد الفريق الذي وفد مع جوزيه الأب لتأسيس ماكوندو، جاءت بها أسرتها عنوة للتفريق بينها وبين الرجل الذي أغواها وهي في سن الرابعة عشرة وظلت علاقتهما سرا حتى بلغت الثانية والعشرين دون أن يحسمها بالزواج...

فهل كان عجبا أن تجد هذه المرأة في جوزيه الابن خير عوض لها عما فقدته في ذلك العشيق الأبق؟ ... بل إنها تمادت في هذا إلى حد أنه أصبح يتسلل كل ليلة إلى بيتها في غفلة من أهله وأهلها...

وكان جوزيه الابن يجلس نهاره غارقا في ذكريات نشوته الجديدة حتى أنه لم يكد يفهم معنى لهذه الضجة التي شملت البيت كله فجأة عندما راح أبوه وأخوه الأصغر أوروليانو يعلنان في بهجة غامرة نبأ نجاحهما في استخلاص ذهب أورسولا من قاع الإناء وتنقيته مما علق به من شوائب... وكانت أورسولا سعيدة غاية السعادة بهذه النتيجة، إلى حد أنها راحت تحمد الله من أجل اختراع الكيمياء، وذهبت تقدم الحلوى والفاكهة لأهل القرية الذين توافدوا على الدار لمشاهدة هذه العجيبة، وكان جوزيه الأب يريهم الذهب مُزْهرا وكأنه استنبطه من لا شيء.. وفي النهاية وقف به أمام ابنه الأكبر الذي لم يكن يره في المعمل الكيميائي في الأيام الأخيرة إلا نادرا، وسأله:

— كيف تراه؟ ...

فأجاب جوزيه الابن ببساطة:

— مثل براز كلاب....

فما كان من الأب إلا أن لطمه بظهر يده لطمه أسالت دمه ودموعه...

وفي تلك الليلة وضعت بيلار تيرنيرا (كمادات) فوق الورم وبذلت له حبها ما جعله يهمس في سمعها لنلا يسمعه أحد من أهلها وهما في غرفة نومها:

— أريد أن أكون معك وحدنا... سيأتي يوم أقول فيه للناس ما بيننا وبعدها لا نحتاج إلى التستر! ...
فقالت له دون أن تحاول صده:

— لو تم هذا لكان شينا جميلا... إذا أصبحنا وحدنا فسيكون بالإمكان أن نترك المصباح مُضاء لكي أراك وتراني، بدل هذا الظلام من حولنا. وسيكون لي أن أرفع الصوت وأصرخ دون أن يتدخل أحد، وسيمكنك أن تقول لي علناً ما يخطر ببالك!...

إن هذا الحوار الهمس وغضبه لما ناله من أبيه، وتشوقه للانطلاق في غرامه هذا إلى أبعد مدى... كل هذا قد بشر فيه روح الجراءة، حتى اندفع في لحظة عفوية إلى مكاشفة أخيه بكل شيء... وأول الأمر لم يفهم أوروليانو الصغير سوى فكرة المجازفة واحتمال الخطر الذي تعنيه مغامرة أخيه، ولم يستطع أن يفهم الإثارة التي اشتملت عليها... وشينا فشينا سرت إليه عدوى القلق وأصبح يتسائل في نفسه عن كنه الأخطار ويتلمس تفاصيل المعاناة والبهجة التي يتعرض لها أخوه حتى لقد جعل يسهر انتظارا لعودته حتى الفجر... ولم يطل بهما الوقت حتى أصبحا يكابدان آثار السهر ويشتركان في العزوف عن الكيمياء وما يبثه فيهما الأب من تعاليم وحكمة، ولم يجدا ملاذا إلا في العزلة والانتواء... وعندما فطنت أرسولا إلى حالهما قالت:

— إن الولدين قد اختل عقلهما... لابد أن عندهما ديدانا...

وبادرت فأعدت لهما (شربة) كريهة أرغمتها على تناولها حتى لقد تبرز كلاهما إحدى عشرة مرة في يوم واحد، مفرزين طفيليات وردية اللون أبهجهما أن يراها للجميع، إذ هيا لهما ذلك خداع أرسولا وتحويل نظرها عن المصدر الحقيقي لاضطراب أحوالهما...

وفي الساعة الثانية من صباح يوم خميس في يناير وضعت أرسولا الحامل في شهرها التاسع ابنتها (أمارانتا)، وعندما فحصتها الأم وهي وحدها وجدتها خفيفة مائية مثل وِرْل صغير، ولكنها حمدت الله إذ كانت كل أعضائها بشرية (كان هذا الخوف المتكرر من جانب الأم عَقِب كل ولادة مرجعه إلى أسطورة مؤداها أن زواجا بين اثنين من أسلاف أسرتها وأسرة زوجها من الأقارب قد أنجب ولدا له ذيل خنزير، وقد عاش متخفيا حتى سن الأربعين في ملابس فضفاضة إلى أن قطع قِصاب ذيله بِسِكِّين فنزف حتى الموت)...

ومهما يكن فإن أوروليانو لم يلاحظ هذا الحدث الجديد إلا عندما امتلأ البيت بالناس فانتهاز فرصة الهرج وخرج للبحث عن أخيه الذي لم يبيت معه في الفراش منذ الساعة الحادية عشرة، وكانت هذه الفكرة مفاجئة إذ لم يخطر بباله كيف يمكنه استدراج أخيه من غرفة بيلار تيرنيرا في بيت أهلها، لقد راح يدور حول البيت مدى ساعات مُصَفِّراً بِبِداعات خاصة بهما إلى أن اضطره اقتراب الفجر إلى العودة إلى داره... وفي غرفة النوم وجد (جوزيه أركاديو) يلعب بأخته الوليدة وعلى وجهه دلائل التظاهر بالبراءة!...